السلام ليس ورقة بيد العاجزين والأرض لا يعيدها الزحف إلى واشنطن

بشير البرغوثي

الانظمة العربية الرجعية، وهو يتم ، هذه المرة ، وهذا الجديد فيه ، بموافقة فلسطينية ، وبناء على طلب اميركي مصري اردني. واذا كان من نتيجة لهذا التحرك فهي، في الاساس، النقطة على اعلاى الانظمة الرجعية العربية ، ومحاولة انقاذ نهجها وتنقيض صفحة سادتها في واشنطن.

لقد مشى هذا النهج الذي يحاول النظام العربي انعاشه بهزيمة محققة في لبنان ، وفي الرفض الواسع والحازم لاتفاقات كامب ديفيد ومشروع ريغان ، وظهرت بجاعة بديلة، اي نهج النضال الحازم ضد الامبريالية وشركائها وادواتها في المنطقة ، نهج التمسك بالحقوق العربية المشروعة والنضال من اجل استردادها ، وتهيئة الاوضاع الداخلية والعربية والدولية لخلق توازن يؤدي الى عقد مؤتمر دولي بمشاركة منظمة التحرير يؤدي الى تنفيذ قرارات قمة فاس وقرارات الامم المتحدة وفي مقدمتها حق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير واقامة الدولة المستقلة.

ان محاولة انعاش هذا النهج من خلال اتفاق حسين – عرفات لن تنجح ولكنها تحدث مضاعفات جانبية ضارة بمستقبل النضال الفلسطيني وبوحدة منظمة التحرير ، وتفتح الطريق امام مطالبات جديدة بتنازلات اخرى تؤدي اذا ما استجاب لها اصحاب هذا النهج الى تصفية القضية والمنظمة معا.

ان الجواب على كل هذا ليس في محاولة "تكييف النفس" لقبول هذا النهج والتعايش معه بل في النضال ضده، وفي اسقاطه وانجاح بديلة، وفي هذا العلاقة الفارقة بين الكفاح والتخاذل !

مضمون اتفاق حسين – العاهل منه يكفي للتعرف على المخاطر الناجمة عن المقولة التي طرحها لدى افتتاحه اجتماع عمان الماضي وهي التفاوض "الارض مقابل السلام" ! استبعاد هوية الارض التفاوض عليها وكذلك التالي تحويلها الى وضع "قانوني" الحالي المتروك يطول الى آخر الدهر، من طرف واحد هو الطرف الفلسطيني) مماثلة للتنازلات يقدمها الطرف الساداتي

يعقب به ، شمعون بيرس، الاسرائيلية لدى سماعه "مقابل الارض" التي حسين مايشير الى الاتجاه المفاوضات ان حصلت، الكنيست الاسرائيلي ان هو الدعوة للتفاوض على "مقابل سلام" !

هذا بالعربي الفصيح ان حينما يعرض "السلام" لا يقدم اي تنازل حتى له مقابل ذلك عن اسرائيل حينما تقدم له سلامه فانها تقدم له شيئا تصريحات شارون المعروفة "كيان فلسطيني" في الضفة ان لا تنفذ اذا ما جاء الى مائدة المفاوضات (سلاما واقعيا قائم منذ على الاقل، بين النظام اسرائيل، وهذا ما تتحدث عنه الصهيونية نفسها وبعض في اسرائيل) وتدعمه الوقائع نهر الاردن ، وفي حرية الاردني في الاراضي المحتلة "النواب" ، و"المفوضين" المختلفة التي تتجاوز على "تعيين" رؤساء ما جاء في التصريحات الادارة المدنية بالوكالة في الضفة العربية.

ولهذا حينما يعرض النظام الاردني "السلام" فانه لا يضيف جديدا، وانه يعترف، على رؤوس الاشهاد، بانه لا يملك بديلا آخر (انه يعرض "سلام العاجز" الذي لا يدخل في حسابات الاقوياء ولا يحظى باحترامهم لا سيما حينما يتعلق الامر بحكام اسرائيل وساستهم المعلنة ودعاواهم الصريحة بان "الارض" هي "ارض اسرائيل".

في مثل هذه الحالة لا يكون عرض النظام الاردني عرض "سلام" بل عرض استسلام صريح ! وهذا ما يسميه ، في واقع الامر ، العروض الاسرائيلية "للسلام مع الاردن" . واذا كان بعض المسؤولين الاسرائيليين يعبرون عن ذلك بعبارات دبلوماسية ، فان، رفائيل ايتان، رئيس الاركان الاسرائيلي السابق ، عبر عن هذه الحقيقة في خطاب له امام طلاب احدى المدارس بالقول "كل ما يطلبه الامر (اي السلام مع الاردن – الكاتب) هو ان يجلس الملك حسين على طاولة صغيرة على جسر اللنبي ويوقع اتفاق سلام ، واذا رفض فمن يهتم" ؟! ومثل هذا المعنى حمله قول اسحق شامير وزير الخارجية الاسرائيلية ورئيس الوزراء بالوكالة حينما خطب في شباب حركة حيروت قائلا "اذا سألكم احد لماذا تريدون الاحتفاظ بيهودا والسامرة فقولوا له "هيك" !

وبمثل هذا المعنى ولكن بكلمات اخرى كان، ديان، ينتظر مكالمة هاتفية من الملك حسين بعد هزيمة عام ١٩٦٧ يعلمه فيها بالموافقة على "اتفاق سلام" حسب الشروط الاسرائيلية.

ومن المفارقات غير الغريبة ان النظام الاردني يعرض التفاوض على اسرائيل بنفس المواصفات التي جرى عليها التفاوض بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ ، اي على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ومقولة ليفي اشكول، رئيس الوزارة الاسرائيلية حينذاك ، "الارض مقابل السلام" !

لقد تخلى حكام اسرائيل عن هذه المقولة ، لانهم حينما طرحوها ما كانوا يتوقعون بان عددا من حكام العرب سيطلبون عند نقطة الهزيمة التي وقعوا عندها في عام ١٩٦٧.

لكن واقع العرض الاردني الجديد ، وضع الهزيمة الذي سبقه في عام ١٩٦٧ لم يتغير ، وان النظام الاردني مازال حسب تركيبه الايام في السابع من حزيران عام ١٩٦٧ ، وان الذين يؤيدون التحرك الاردني من هذا الوضع انما يعبرون انما بالهزيمة لانفسهم !

ان المسألة الجوهرية تكمن في وجود قرار ٢٤٢ في نص الاتفاق المعلن او في عدم وجوده ولا في تضمينه هذه العبارة او تلك بحيث يتعلق بها هذا الطرف او ذاك ليبرر بها موقفه. ولكنها في النهج الذي اقره الاتفاق ويعبر عنه. فالاتفاق الذي اراده الملك حسين وحسني مبارك ،ومن احله كان اسامة الباز يتنظر في عمان . وتضمينه اسرق الى الملك فهد ليعرضه على ريغان يعني، مهما كانت عباراته ، الاعتماد على السياسة الاميركية وعلى مشاريعها الخاصة بالقضية الفلسطينية. وحينما يقال عن تحرك اردني فلسطيني مشترك وعن اتفاق ثنائي لا يبقى هناك اي غموض حول اتجاه هذا التحرك ، ويتضح جليا ان لا قرارات فاس، ولا قرارات المجالس الوطنية المتعاقبة هي بوصلة هذا التحرك وانما واشنطن ومشاريعها ومطالبها من الحكام العرب.

ولربما يقول قائل ولكن واشنطن لن تقدم حلا، وليس هناك ، في الافق ، ما يشير الى استعداد اسرائيلي لقبول مشروع ريغان ، وبالتالي فان اتفاق عرفات – حسين هو من باب "المناورة المحسوبة" وبهدف "كسب الوقت" لا اكثر !

لقد استخدمت هذه الذريعة لعدة سنوات. والذين كسبوا الوقت بسببها هم حكام الانظمة العربية المتمسكين بنهج الاستسلام ، والذين حافظوا على موقع الهزيمة الذي قبعوا فيه منذ عام ١٩٦٧ بسبب ارتباطهم بالامبريالية الاميركية، وعدائهم لشعوبهم. والتقارب معهم ادى الى خلق اوهام لدى البعض بقدرتهم على الاضطلاع بدور يخدم القضية العربية، والى التشويش على العائق الجوهري الحاد بينهم وبين حركة التحرر العربية والفلسطينية.

ان التحرك الجديد لا يختلف في مضمونه عن تحركات سابقة قام بها حكام

استمرار الحملات الارهابية ضد أهالي الدهيشة

انصام نسائي في المخيم . أهالي جباليا يعلنون تضامنهم

الاحتجاجات تمضي سلطات الاحتلال قدما في مخططها سكان الدهيشة حتى اصبحت الاوضاع الجهنمية التي التقارير الصحفية هي الحياة اليومية المستمرة للمخيم ، فنقطتا التفتيش اللتان اقيمتا في منطقة المخيم ساعات طويلة دون مبرر على الطريق الرئيسي بيت لحم والقدس مما يدفع العديد من السيارات الى جالا تجنبا للتأخير والمرمطة على هذه الحواجز.

مدخل اليتيم للمخيم عرضه نصف متر السلطات لفتحه قبل واحد من البرامج المدخل الاساسي التفتيش اذ يتعرض منه الى مضايقة في الهويات الامر نفسه على يسودها شبه منع الاجراءات.

سلطات الاحتلال جديدة يوم شملت كلا من فرج، واحمد رمضان الزغارى، وعمر الحايك وجهاد فرارجة.

كذلك داهمت سلطات الاحتلال بيت الدكتور محمد عودة ثلاث مرات خلال الـ ٤٨ ساعة الماضية واقامت نقطة عسكرية على سطح البيت ، وذكرت ربة البيت عايشة عودة بان هذا الحال مستمر منذ شهر ونصف بشكل شبه يومي اذ يداهم الجيش بيتها ويضايق اطفالها.

ومن جهة اخرى نظرت المحكمة العسكرية في نابلس صباح امس في طلب بالافراج بالكفالة عن ١٢ شابا من المخيم مضى على اعتقالهم حوالي ١٨ يوما دون ان توجه لهم اية تهمة.

هذا وقد تم ابلاغ ٢٥ شخصا بانهم سيقدمون الى المحاكمة بحجة خرق منع التجول قبل اربعة اشهر، وقامت السلطات ايضا، باعتقال الشابين عادل احمد محمد ، وعمر الحايك من سكان المخيم في مدرسة "الخضر" التي يدرسان بها.

ومن جهة اخرى كانت الاطر النسائية في مخيم الدهيشة نظمت ، يوم الجمعة ٢/٨ ، في مقر وكالة الغوث داخل المخيم ، اعتصاما حاشدا ضم ما يقارب مئة وخمسين امرأة احتجاجا على الظروف اللاانسانية التي يعيشها سكان المخيم والممارسات الاحتلالية المتمثلة في اطلاق سائبة المستوطنين لملاحقة السكان وفرض العقوبات الجماعية والعشوائية على المواطنين وممارسة الاعتقالات والمداهمات ضدهم، وكذلك احتجاجا على تقليص الخدمات التي تقدمها وكالة "غوث اللاجئين الفلسطينيين".

واكدت المعتصمات ان وكالة الغوث هي التي تتحمل المسؤولية المباشرة عن هذه الظروف وانها مقصرة وغير معنية بما يدور في المخيم ،ودانت المعتصمات الاجراءات والممارسات التعسفية كافة وطالبن بالغاء جميع الاجراءات التي اتخذتها الوكالة بحق اللاجئين الفلسطينيين وموظفي الوكالة في الضفة والقطاع ودعون وكالة الغوث الى فضح الممارسات الاسرائيلية ضد اهالي المخيم، وذلك برفع عريضة شكوى واحتجاج الى رئاسة الامم المتحدة وتشكيل لجنة تحقيق فيما يحدث في المخيم بحق اهله وشبانه، ودعوتها، ايضا، الى العمل بسرعة على تكثيف اتصالاتها من اجل ازالة العنصري ليفنغر، واستفزازاته ، واطلاق سراح المواطنين الذين اعتقلوا مؤخرا وتحسين الظروف العامة في المخيم في جميع المرافق من اجل الاستمرار في العيش.

ومن الجدير بالاشارة الدور السلبي الذي اداه مدير الوكالة في المخيم حيث قام بطرد المعتصمات واقفال الباب في وجوههن.

وفي جباليا اصدرت لجنة الدفاع عن مخيم جباليا بيانا تضامنيا مع اهالي الدهيشة ومما جاء في البيان :

"نستنكر بشدة الممارسات القمعية التي اقدمت عليها السلطات ضد سكان مخيم الدهيشة وندين التعاطف السلطوي مع الفاشي ليفنغر وقطعان المستوطنين الذين يتحرشون بسكان المخيم. وندين كل اعمال الزعرنة والممارسات اللاوطنية ضد سكان الدهيشة من قبل عصابات روابط القرى وزعران الاحتلال. اننا نشد على ايدي اخواننا سكان الدهيشة ونؤكد لهم ان المؤامرة لن تمر وستنتصر ارادة المقاومة للسكان في النهاية".